كلمة تحيّة وترحيب

ألقاها الأمين العام لندوة العلماء

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

صباح يوم الجمعة ٢٥/ شوال ١٣٩٥ هـ

في الحفلة الافتتاحية للمهرجان التعليمي
لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة و السلام على سيد المرسلين ، و خاتم النبيين محمد النبي الأمين ، و آله و أصحابه الطاهرين الطيبين ، و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، من خلفاء الرسل و أئمة الدين . الذين ينفون عنه تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين .

أما بعد ! فحضرة الرئيس الجليل و السادة الأجلاء ، و الضيوف الأعزاء !

أحييكم — أصالة منى و نيابة عن زملائى و عن مسلمى الهند وعلمائهم بتحية الاسلام و بتحية العلم ، تحية الزملاء الصغار للزملاء الكبار ، و تحية الرفاق للرفاق ، فكلنا نسير فى ركب الاسلام السيار . و فى موكب العلوم الاسلامية الحافل ، إذا فرقت بيننا الأستاذية و التتلمذ ، والأصالة والتطفل ، و القيادة و التبعية ، فقد جمعنا ظل الاسلام الوارف ، و وسعتنا وشيجة العلم الجامعة ، و كلنا أبناء الاسلام ، و زرع النبوة ، و غرس القرآن ، و تلاميذ مدرسة الايمان .

أرحب بكم أيها السادة على أرض قامت عليها تجربة من نوع فريد فى تاريخ الديانات و الحضارات و الثقافات ، نجحت نجاحاً منقطع النظير ، تجربة دخول دين يواكبه العلم و الحضارة ومنهج خاص للحياة ، لا تربطها به

لغة و لا آداب و لا حضارة ، و لا قومية و لا عنصرية ، و لا عادات و لا طبائع ، فبرهنت هذه التجربة على القوة المودعة فى طبيعة الاسلام ، و قدرته على إشعال المواهب ، وتفتيق القرائح ، و إثارة الدفائن ، واستخدام الطاقات البشرية فى صالح الانسانية ، وعلى استجابة الفطرة البشرية السليمة له ، كأنما كانت منه على موعد و اشتياق ، ومعه على تفاهم و اتفاق ، و برهنت كذلك على خصب التربة ، و كرم المنبت ، و على أن العلوم الاسلامية تورق و تثمر فى كل بيئة و مناخ ، و قد تكون أكثر ازدهاراً ، و أفضل ثماراً إذا غرست فى أرض بكر ، و تناولها عمل التلقيح الحكيم ، و «التأبير» السليم ، وعلى أن الشعور بالغربة ، و البعد عن مصدر هذه الهداية ، و منطلق هذه القافلة ، و اليأس من وصول الميرة و المدد . و الاعتماد على نصر الله وحده ، ثم الاعتماد على الرسالة التى تحملها هذه الجالية ، و صلاحيتها للبقاء ، و نفعها للانسانية المعذبة ، و الشعور بكونها على ثغرة بعيدة من ثغور الاسلام ، كلفها الله حراستها والذود عنها ، يثير فى هذه الجالية قوة تصنع العجائب و تأتى بالمعجزات ، و تتغلب على كل مقاومة و محاربة ، و مؤامرة و معاكسة ، و تكذب تجارب الأمم ، و تبطل المنطق المادى الذى يؤمن بالرياضيات ، و فلسفة الأعداد و العدد . وخضوع النتائج للمقدمات و المسببات للأسباب .

تدخل هذه الجالية فى البلاد غريبة ، فلاتلبث أن تتخذها داراً وقراراً يحبها أبناؤها وتحبهم ، و يرون فيها الأخ الكريم ، و الأب الرحيم ، والأستاذ الشفيق ، والحاكم الرفيق ، والصانع الحاذق ، والادارى الحازم ، و تصب على هذه التربة أفضل ماعندها من طاقات و كفايات ، وعلوم و تجارب ، و تعاليم

www.abulhasanalinadwi.org

و آداب ، و إبداع و ابتكار ، و نشاط و حماس ، و قوة عمل و قوة إرادة ، و حسن تنظيم و قدرة إدارة ، و تلتقى الفروسية التركية ، و قوة الارادة المغولية ، والنخوة الأفغانية ، و الطبيعة الايرانية المرحة القلقة ، الهائمة بالجمال والخيال ، ورقة العجم وخفة روحهم مع جدية العرب وسلامة ذوقهم ، مع طبيعة البلاد و أبنائها الرقيقة الوادعة ، الولوع بالفلسفة و التصوف ، يسيطر على جميع هذه العناصر و العوامل عقيدة التوحيد النقية ، و تعاليم الشريعة الاسلامية السمحة ، و تصهرها فى بوتقتها ، فتنشأ من كل ذلك حضارة جديدة تستحق أن تسمى « الحضارة الاسلامية الهندية » .

و قامت فى الهند مدرسة حضارية فكرية علمية ، ذات شخصية خاصة ، و طابع خاص ، أنجبت عدداً كبيراً من النوابغ ، وأئمة الفنون الاسلامية ، وأصحاب الابداع والابتكار ، والأصالة العلمية ، كانوا أصحاب مدارس خاصة ، و فاتحى آفاق جديدة ، ليس فى العلوم الدينية كالتفسير و الحديث ، و الفقه والعقائد ، فحسب . بل فى علوم اللغة والآداب العربية . أقر لهم علماء العرب بالامامة و الزعامة فيها ، و عدت كتبهم من المراجع الرئيسية فى هذه العلوم، و بعضها فريد لا نظير له فى المكتبة الاسلامية العالمية (١) ، و أمدت هذه المدرسة الحركة العلمية و التأليفية فى العالم الاسلامى و العربى التى أصابها الفتور ، وغشيها الاعياء الفكرى فى بعض الفترات بعد القرن الثامن الهجرى، بدم جديد و نشاط جديد ، و أصبحت معقلا لبعض العلوم الاسلامية — بعد الزحف التتارى — و صارت أكبر مركز لعلم الحديث الشريف فى الزمن

(١) اقرأ للتفصيل كتاب كاتب هذه السطور « المسلمون فى الهند » ، و لتفصيل أكثر كتاب « الثقافة الاسلامية فى الهند » للعلامة السيد عبد الحى الحسنى ، طبع المجمع العلمى العربى بدمشق .

الأخير ، و مصدر إشعاع و تصدير بعد ما كانت مركز استفادة و استيراد ، ونبغ فيها أكبر علماء هذا الفن ، وألف فيها أحسن الكتب فى هذاالموضوع ، وقاد بعض رجالها فى مختلف العهود حركات الاصلاح و التجديد ، و البعث الجديد . سمع صداها العالى و رؤيت آثارها الطيبة المباركة ، فى نواحى العالم الاسلامى البعيدة .

ثم أراد الله أن تخوض هذه البلاد أكبر معركة حضارية ، ثقافية فكرية ، شهدها التاريخ المعاصر ، و أن تواجه أعنف صراع بين المبادىء و العقائد ، و القيم و المفاهيم ، و المعايير والموازين ، معركة قامت بين الحضارة الغربية و الفلسفة الغربية ، وبين الحضارة الاسلامية و الفلسفة الاسلامية ، وصراع بين الفكرة الاسلامية ، و الفكرة الغربية بأوسع معانيهما و أدقها ، فكانت معركة حامية دامية ، و صراعاً عنيفاً قاسياً ، فقد واجه الشعب الهندى المسلم المثخن بالجراح ، المصاب بدهشة الفتح ، الحضارة الغربية الفتية ، الدافقة بالحيوية و النشاط وجهاً لوجه ، لا حاجز بينهما و لا فجوة و دام فى ربوع الهند الحكم الانجليزى الثائر الموتور الحانق على هذا الشعب الذى تسلم منه مفاتيح البلاد ، و ذاق من جرائه الثورة العارمة و الحرب المسعورة قرناً كاملا ، يحمل الروح الصليبية مع الروح الاستعمارية ، يرى فى الشعب المسلم منافسه الحقيقى الدائم فى كل زمان و مكان ، ويرى فى الاسلام معسكراً يوازى معسكره على طول الخط ، و كل يدعى أنه يقود الحياة و يصوغ المجتمع ، و يشرع و يسن القوانين ، و يملأ الفراغ الذى لا بد أن يملأ ، فكان نصيب الشعب المسلم من لهيب هذه المعركة و خسائرها وغراماتها أكثر من نصيب أى شعب آخر ، و كان أكثر حساسية و أكثر حساباً لهذه المعركة من جميع الشعوب بطبيعة

www.abulhasanalinadwi.org

الحال ، و قد سجل التاريخ الأمين المنصف ، أنه كان أكثر صموداً ، وأكثر احتفاظاً بشخصيته ومعنوياته ، و أكثر تمرداً و استعصاءاً على حركة الابادة الدقيقة الشاملة من أكثر الشعوب الاسلامية التى اكتوت بنار الاستعمار الأجنبي و وقعت تحت نيره .

هذا عدا حركة « التنصير » التى يسميها أصحابها حركة « التبشير » التى واجهها المسلمون فى الهند على إثر استقرار الحكم الانجليزى ، و قد كادت تكتسح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، و كانت مسلحة بأقوى الأسلحة ، وأشدها تأثيراً فى الشعب المفتوح المهان ، و تتمتع بحماية الدولة التى تعتبر هذه البلاد منحة من السيد المسيح (على نبينا و عليه الصلاة و السلام) و السيطرة على البلاد ، فرصة سانحة للدعوة إلى الدين المسيحى ، ترافق حركة التنصير حملة تشكيكية قوية ، تشكيك فى كل مايتصل بالدين الاسلامى من شريعة و حضارة و ثقافة و تاريخ ، و قد قاوم علماء المسلمين كلتا الحركتين بقوة زائدة ، وقدرة فائقة ، وآثروا سياسة الهجوم والنقد العلمى على سياسة الدفاع و التماس العذر ، فانحسرت موجات الدعوة التبشيرية ، و الحركة التشكيكية ، و تراجعت إلى الوراء ، وازداد المسلمون إيماناً وثقة بدينهم . واعتزازاً بحضارتهم وثقافتهم، و اعتداداً بشخصيتهم و تاريخهم .

و أم عدد كبير من الشباب المسلمين مراكز الثقافة الغربية فى كبرى العواصم الأوربية ، و تخصصوا فى علومها العصرية ، وحذقوا اللغة الانجليزية كأبنائها ، و كان منهم أدباء ، وكتاب ، و مؤلفون ، ومعلمون ، وإداريون ، شهد ببراعتهم و تفوقهم علماء الغرب ، و لكن كان منهم أكبر نقدة ، وأقوى ثائرين على الفلسفة الغربية المادية ، و الفكرة الغربية المتطرفة المتعصبة للمسيحية

أحياناً ، والمتحللة الملحدة أحيانا كثيرة . وتناولوا الحضارة الغربية ، والفلسفات الحديثة بنقد علمى عميق ، و تشريح جريئ دقيق ، و تهكم لاذع رشيق ، كل على حسب أسلوبه الخاص ، و ظروفه الخاصة ، و صدرت من أقلامهم أقوى كتابات فى عرض الاسلام كدين كامل شامل ، ومهاجمة الحضارة الغربية فى أسلوب ملئ بالثقة و الاعتزاز ، بعيد عن كل تأويل و اعتذار ، و أنشأوا جبهة علمية قوية أمام دعوة الفكر الغربية و الحضارية ، شعارها إنكار إمامة الغرب ، و عصمته من كل خطأ ، و براءته من كل ضعف ، و الافتخار بالاسلام كرسالة إنسانية عالمية خالدة ، و الايمان بمحمد صلى الله عليه و آله وسلم كخاتم الرسل ، و منير السبل و إمام الكل .

ثم واجه الشعب المسلم الهندى تجربة جديدة ، و دخل فى فترة كبيرة الأهمية ، هى تجربة ممارسة الحياة الحرة الاستقلالية ، التى كان من أول دعاتها ، و من أكبر أبطالها ، و المضحين فى سبيلها ، و التى يساهم فيها كأبناء البلاد و أفراد الشعب المواطن المناضل ، الحر الأبى الكريم ، فترة انتقال من الحكم الأجنبي إلى الحكم الذاتى ، تسن فيه قوانين جديده ، ويصاغ فيه المجتمع صوغاً جديداً ، ويوضع للتربية والتعليم نظام جديد ، وتتحكم فى حياة البلاد اتجاهات طائفية أحياناً ، عاطفية وأعصابية أخرى، والمسلمون فى كل هذه الظروف أقلية عددية ، وطائفة متخلفة ، قد حرص الحكم الانجليزى على إضعافها وتأخيرها فى ميدان الحياة ، تحيط بها هالات من رواسب الماضى ، ومن شبهات هى منها بريئة كل البراءة ، ومن تصرفات هى منها بعيدة كل البعد ، وكل ذلك يضخم مسئوليتها ، ويضعف موقفها ، ويحرج مركزها ، وهى مع كل ذلك مصممة على البقاء فى هذه البلاد ، مع الاحتفاظ التام بشعائر دينها ، وخصائص حضارتها وشخصيتها ، لاتتخلى عن

www.abulhasanalinadwi.org

شئ من ذلك ، فكانت محنة ذكاء و محنة وفاء ، محنة عقيدة جازمة ، و محنة وطنية صادقة ، محنة الشخصية القوية العبقرية . و محنة الروح الايجابية البناءة ، محنة يقل نظيرها فى التاريخ الاسلامى القديم ، فلاتمكن الاستنارة به فى ذلك ، و يندر الحديث عنه فى كتب الفقه و الفتاوى ، و متى وجد ستون مليوناً أو أكثر ، من المسلمين فى أكثرية غير المسلمين ، فى بلد يحكمه البرلمان ، و يسيطر عليه الدستور ، و اتخذ العلمانية له شعاراً ؟ فلاسبيل إذاً فى تخطيط الحياة اللائقة العملية الخاضعة لتعاليم الاسلام و الحقائق الراهنة ، إلا الأصول الاسلامية الحكيمة ، الخالدة العالمية ، و الذكاء الألمعى ، و الشخصية القوية ، والعزم الصادق ، والايمان الراسخ ، و إيثار حياة الشرف و الكرامة على حياة اللؤم و المهانة ، و الاستشراف لتبوء مكان القيادة الخلقية الذى لا يزال منصبها شاغراً ، و الظهور على منصة هذه البلاد و مسرحها ، كداع مخلص ربانى ، و قائد خلق إنسانى ، مجرد عن كل شهوة و أنانية ، و أغراض فردية و جماعية ، ينقذ هذه البلاد من الهوة السحيقة العميقة من الانحطاط الخلقى ، و تقديس المادة و التهالك عليها والانتهازية ، و نسيان فاطر الكون ، و ذلك هوالطريق الوحيد الذى يرفع هذا الشعب من مستواه الشعبي العام إلى مستوى الرائد ، و القائد الرفيع السامق .

و قد عرف الشعب المسلم الهندى فى تاريخه الطويل — و لا أزكى على الله أحداً إنما هو تحديث بالنعمة ، وتقرير الواقع التاريخى — بقوة عاطفته الدينية ، و حبه العميق ، المتغلغل فى الأحشاء ، لرسول الله ﷺ ، و ارتباطه بمهد الاسلام و مركزه ، و ذلك الذى حماه من أن يذوب و يفقد شخصيته ، كما كان الشأن مع الشعوب التى دخلت فى هذه البلاد فى فترات مختلفة ، وأبدى

اهتمامه الشديد بقضايا الاسلام والمسلمين فى الزمن الأخير ، قد تبنى قضية الدفاع عن الخلافة العثمانية بحماس منقطع النظير ، و لا تزال « حركة الخلافة » التى كان لها فضل كبير فى إثارة الوعى السياسى و الوطنى فى شبه القارة الهندية ، كبرى حركات الهند الشعبية ، و موضع دهشة المستعمرين ، وموضوع المؤرخين و المؤلفين ، و كذلك أبدى اهتمامه الشديد بقضية فلسطين ، والمسجد الأقصى المبارك . و كان مرهف الحس ، رقيق الشعور ، شديد الانفعالية فى كل ما يقلق المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها .

و قد تجلت قوة عاطفته الاسلامية ، و شدة تمسكه بالدين ، و تعاليمه وثقافته ، فى شبكة المدارس الدينية والكتاتيب الاسلامية ، الدقيقة الواسعة التى قلما خلت منها قرية كبيرة فضلا عن المدن والأمصار ، وقد أسسها المسلمون فى طول الهند و عرضها ، بعد استقرار الحكم الانجليزى ، وتملكه لزمام التربية و التعليم فى القطر الهندى ، و هى تتجاوز المئات ، و تبلغ إلى الألوف ، و منها عدد كبير يسمى بالمدارس العربية لعنايتها الزائدة بالعلوم الاسلامية التى ألفت كتبها فى اللغة العربية ، و عنايتها بالقرآن و الحديث اللذين هما بلغة العرب ، و هى تعنى غالباً بتدريس الجامع الصحيح للبخارى بصفة خاصة ، و تدريس صحيح مسلم ، و جامع الترمذى ، و سنن أبى داؤد بصفة عامة ، و تكاد تكون هذه المدارس كلها شعبية يمولها و يكفلها الشعب المسلم ، ويعتبر ذلك سعادة و عبادة ، و يتنافس فيه ، و ذلك سر وجود هذا العدد الكبير من العلماء المحتسبين ، و الدعاة المتطوعين ، و المعلمين المخلصين فى كل زمان ، الذين يعيشون على الكفاف ، و ببلغة من العيش يتبلغون بها فى نشر العلم ، و الدعوة إلى الله ، و تعليم الناس دينهم .

www.abulhasanalinadwi.org

و من سمات العلماء و المتخرجين فى هذه المدارس الدينية البارزة ، أنهم كانوا فى طليعة المناضلين لتحرير البلاد و إجلاء « المستعمرين » ، وفى مركز القيادة فى هذه الحركة الشعبية القوية ، ومنهم انبثقت فكرة النضال ضد الاحتلال فى الحقيقة ، و قد قاد كثير منهم حركات المقاومة الفعالة و الثورات المسلحة بمقدرة و شجاعة ، فمنهم من قتل شهيداً ، و منهم من شنق ، و منهم من نفى إلى جزائر اندمان أو إلى منفى جزيرة مالطة ، ومنهم من قضى شطراً من حياته فى السجون و المعتقلات فى داخل البلاد ، و تاريخ حركة التحرير و الاستقلال مقترن بتاريخ العلماء و الشخصيات الدينية فى الهند متداخل فيه ، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

و من سماتهم البارزة أنهم قادوا الحركة الأدبية الانشائية فى شبه القارة الهندية ، وكانوا من الدعائم القوية السامقة التى قام عليها قصر الأدب الرفيع و النثر الفنى بعد ثورة ١٨٥٧ ، و كان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة ، لا يزال لها أنصار و أتباع و مقلدون ، و كان كثير منهم رائد نشاط جديد فى الانشاء و التحرير و النقد وتاريخ الأدب والشعر ، ولاتزال مؤلفاتهم هى المرجع الأصيل و العمدة فى هذا الموضوع ، فلم يكن فى الهند ذلك الفصام النكد بين علوم الدين و الأدب العصرى و لغة البلاد ، ولم تكن تلك الفجوة التى وقعت فى بعض البلاد بين علماء الدين و الشادين بالأدب و الشعر ، و الهائمين بهما ، الفجوة التى جنت على الدين والأدب فى وقت واحد .

و أصبح الشعب المسلم الهندى اليوم مكتفياً بالاسلام ، يستمد قوته و صموده من منابع الاسلام الأصيلة ، كالكتاب و السنة ، و سلوك الرعيل

الأول من المسلمين ، وجهاده و وفائه ، وبطولاته ، و سيرة السلف الصالحين الذين أحسنوا فقه الاسلام ، و أساغوا تعاليمه ، و استقاموا على الطريقة ، قد ربط عقيدته و مصيره ، و سلوكه بالاسلام ، و لم يربطه بالمسلمين ، عرباً كانوا أو عجماً ، فليس « إمعة » يقول إن آمن الناس آمنا ، و إن كفروا كفرنا ، و إن استقاموا استقمنا ، و إن انحرفوا انحرفنا ، ولا يشترط لوفائه للاسلام ، وفاء شعب من الشعوب الاسلامية للاسلام ، بل يرى ذلك لزاماً عليه و شكراً لنعمة الايمان التى لا نعمة أعظم منها ، و هو يدعو الله أن يبقى متمسكاً بالجامعة الاسلامية ، معتزاً بحضارة الاسلام و فلسفته ، متمسكاً بالدين الاسلامى كدين كامل يقود الحياة كلها و الأزمنة و المجتمعات كلها ، حين تؤمن شعوب كثيرة بقومياتها و حضاراتها البائدة ، و فلسفات عتيقة و حديثة ، منافية للاسلام أو منافسة له ، و أن يلهم الثبات على المبادىء ، و القيم ، والمثل العليا ، مهما كانت قيمته فى الحياة المادية و الفرص المواتية ، حتى يستطيع أن يخاطب ربه و ينشد :

فليتك تحلو و الحياة مريرة ... و ليتك ترضى و الأنام غضاب
و ليت الذى بينى و بينك عامر ... و بينى و بين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... و كل الذى فوق التراب تراب

لذلك كله — أيها السادة — كانت هذه الأرض جديرة كل الجدارة بأن تلتقى عليها هذه الصفوة المختارة ، من علماء الاسلام ، وقادة الفكر ، و أقطاب التربية و التعليم ، ليطلعوا على مدى النجاح الذى حققه هذا الشعب المحاط بالمحن و المشكلات — التى قلما أحيط بها شعب من الشعوب الاسلامية — فى الاحتفاظ بشخصيته ، و أداء رسالته ، و إثبات جدارته ، و على المسافة

www.abulhasanalinadwi.org

التى لا تزال أمامه ، و هو يطلب من إخوانه ، فى العالم الاسلامى والعربى ، التوجيه الرشيد ، و الرأى السديد .

و أرحب بكم ثانية فى مدينة لكهنؤ التى كانت تلو دهلى - عاصمة القطر الهندى - فى خصب التربة ، وحضانة العلم والعلماء ، و قد آلت إليها زعامة الحضارة ، و الآداب ، واللغة ، و انتهت إليها رئاسة التدريس و التأليف فى العهد الأخير ، و نبغ فيها علماء و مؤلفون فاقوا أقرانهم فى التفنن فى العلوم والآداب ، و كثرة التأليف و قوة التدريس ، و انفجرت منها عيون العلم فأروت القريب و البعيد ، و فيها بلغ منهاج الدرس القديم طوره الأخير من التنقيح و التهذيب ، و الزيادة والتكميل ، فسمى « الدرس النظامى » وسيطر على الأوساط العلمية التعليمية فى شبه القارة الهندية ، وفى أفغانستان وتركستان ، و خدم فيها القرآن حفظاً و تجويداً ، و نشراً وتعليماً ، فى العهد الأخير ، خدمة لا يوجد لها نظير فى كثير من المدن الاسلامية .

« وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

و أرحب بكم ثالثة — أيها السادة — فى هذه المؤسسة التى تمثل فصلا من أروع فصول تاريخ الوعى الاسلامى ، و القيادة الاسلامية ، و الفكرة العلمية ، فهنا تجسم الشعور بالواقع المرير الذى كان يعيشه المسلمون — ليس فى شبه القارة الهندية فحسب بل فى العالم الاسلامى — فى فجر القرن الرابع عشر الهجرى ، و أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، من تمزق الشمل ، و تشتت الفكر ، و ضعف الثقة بصلاحية الرسالة التى أكرمهم الله بها لمسايرة الزمن فضلا عن قيادة الركب البشرى ، و الحسبة على العالم ، و صلاحية شريعتهم السماوية لحل المعضلات ، و الارشاد فى النوازل و القضايا الجديدة و صلاحية

علومهم الاسلامية للبقاء و الازدهار ، و النمو و التوسع ، وتوزع بين طبقتين متناكرتين متنافرتين أحياناً ، و متنافستين و متناحرتين أحياناً كثيرة ، طبقة علماء الدين المتخرجين فى المدارس الدينية على النمط القديم ، و طبقة المثقفين بالثقافة الغربية ، المتعلمين فى الكليات والجامعات المدنية ، لا تزال الجفوة بينهما تشتد وتحتد ، ولا تزال الفجوة بينهما تتسع و تعمق على مر الأيام ، والقنطرة التى تصل بينهما مفقودة أومكسورة ، وما أشقى الطبقتين من أمة إذا احتاجتا فى اللقاء و التعاون إلى جسر يصل بينهما ، أو ترجمان يترجم لهما ، و ما أشقى الأمة بهما ، و توزع كذلك بين الطوائف الاسلامية ، و المذاهب الفقهية ، ينظر كل منها إلى الآخر نظرة ازدراء و احتقار ، ونظرة خوف و إشفاق ، والمناظرات والمطارحات بينها قائمة على قدم وساق ، قد تتحول إلى مضاربات و إهانات و محاكمات و مخاصمات ، و قد تجر إلى تضليل و تفسيق ، بل إلى تكفير أحياناً كثيرة ، و المناهج الدراسية قد ختم عليها بالختم الأخير لا تقبل زيادة و لا نقصاً ، و قد غشيت الأوساط العلمية غاشية من العزلة الفكرية ، فلا تفتح نافذة على ماجد فى العالم الحديث من علوم و أفكار ، و بحوث و دراسات ، و لا تتصل بالحياة السريعة الصاخبة إلا عن طريق السياسة أو التبعية ، و هنا أفلت منها زمام القيادة و التوجيه ، و الاشراف على المجتمع الاسلامى ، و الوصاية عليه ، وصيانته من الغزوات الفكرية و الغارات الصليبية ، و الانحرافات الخلقية ، و وقعت الطبقات المثقفة تحت رحمة دعاة التغريب ، و الردة الفكرية و الحضارية من المسلمين القوميين و غيرهم .

و فى هذه الساعة العصيبة الدقيقة ، و فى هذا الجو الغائم القاتم التقت (سنة ١٣١١هـ الموافق ١٨٩٢م) مجموعة من أهل الفراسة الايمانية ، والشعور

www.abulhasanalinadwi.org

المرهف ، و التألم بواقع المسلمين و مستقبل علماء الدين والعلوم الاسلامية ، بل بمستقبل هذا الدين فى هذه القارة التى سقيت بأزكى دماء المسلمين ، وغذيت بأذكى عقول علماء الدين ، و سايرت ركب العلم و الحضارة الاسلامية ، بل وقادته أحياناً ، و التقى أهل العقول بأهل القلوب ، وكبار علماء الدين بخيار المثقفين المدنيين ، و فقهاء المذهب الحنفى بزعماء أهل الحديث و الأثر ، و الزهاد المتبتلون الذين آثروا العزلة و عكفوا على العبادة ، بوجهاء البلد و أعيانه ، و كبار الحقوقيين و رجال التعليم ، فأسسوا جمعية سموها « ندوة العلماء » لأنها نبعت من فكرتهم ، و تأسست على دعوتهم ، و هم الموجهون لها والمشرفون عليها ، وبدأت كفاحها فى جمع شمل المسلمين ، وتوحيد كلمتهم ، و تنسيق جهودهم فى إنهاض المسلمين ، و محاربة الأخلاق الفاسدة ، و التقاليد الجاهلية ، والعادات القبيحة المضرة ، وجمع العلماء من مختلف المذاهب الفقهية ، والطوائف الاسلامية السنية على منصة واحدة للاهتمام بأمر المسلمين ، وإصلاح مناهج التعليم الدينى و تطويرها و تكييفها مع الزمن ، فى نطاق المبادىء الاسلامية و مقاصد الشريعة الاسلامية و رفع مستوى العلماء و توسيع آفاق فكرهم و معلوماتهم ، وإعداد العلماء الذين يتمتعون بثقة كلتا الطبقتين ـ القديمة و الحديثة ـ وتقديرهما ، ويأخذون مكانهم الطبيعى فى قيادة المسلمين الدينية ، و الفكرية و العلمية الذى فقدوه من زمان بضعفهم فى العلوم الدينية ، وبعدهم عن الحياة .

ونادوا باعطاء القرآن الكريم متناً و تفسيراً ، حقه من العناية والدراسة و التمييز بين العلوم الآلية و العالية ، والوسائل و المقاصد ، و تقديم كتب المتقدمين المتذوقين للدين و العلم أصالة على كتب المتأخرين ، و العناية بتعليم

العلم أكثر من العناية بتدريس الكتاب ، ونادوا باحلال اللغة العربية و آدابها محلها اللائق فى المناهج الدراسية ، و المقررات المدرسية ، فقد كانت بلغت منتهى الضعف فى الزمن الأخير ، و وضعت فى هامش المناهج و النشاط العلمى التعليمى ، و تعليم اللغة العربية كلغة حية راقية ، دافقة بالحياة و القوة ، مرنة تساير متطلبات العصر ، و حاجة الدعوة و الدعاة ، حتى يستطيع أبناء هذه الدار أن يتذوقوا جمال القرآن و إعجازه ، و فصاحة الحديث النبوى و قوته ، و يخاطبوا أبناء العرب فى لغتهم ، و أساليب كلامهم ، و يقاوموا الفتن العصرية و الدعوات المضللة ، و كانت فكرة سابقة للزمن الذى لم تحدث فيه وسائل الاتصال ، و لم تسنح فيه فرص اللقاء التى حدثت فى هذه العقود الأخيرة ، حين نالت البلاد الاسلامية و العربية الاستقلال ، و عمت الاجتماعات و اللقاءات على الصعيد الدولى ، فكان كل ذلك دليلا على بعد نظر هؤلاء العلماء ، ودعوا إلى ضم بعض العلوم الحديثة النافعة التى لا يسع العالم جهلها ، و دراسة اللغة الرسمية السائدة إلى مناهج التعليم .

و أسسوا لتحقيق هذه المطالب والغايات مدرسة نموذجية سنة ١٣١٦هـ ١٨٩٨م فى مدينة لكهنؤ ، سموها « دار العلوم ندوة العلماء » ، و توسعت واشتهرت حتى غطى اسمها فى كثير من الأحيان اسم المؤسسة الأم ومصدرها ، و تقرأون قصة هذه الجمعية و ما مرت به من أدوار و مراحل ، و قصة هذه الدار التى نلتقى فى رحابها و ما قطعته من أشواط مشروحة مفصلة فى الكتب و الرسائل التى تقدم إليكم .

فى رحاب هذه الدار العلمية ، و فى مركز هذه المؤسسة التى هى مدرسة فكرية شاملة ، و حركة إصلاحية توجيهية ، نرحب بكم أيها السادة ، و نحييكم

www.abulhasanalinadwi.org

بتحية الاسلام و العلم فى هذا الملتقى الكريم و المشهد العظيم ، الذى ستظل أخباره و مشاهده تذكر وتشكر ، و تنقل و تروى ، و الذى يمثل بحول الله تعالى ، و توفيقه العالم الاسلامى الواسع هذا التمثيل الجامع الرائع الذى قلما شهدته هذه البلاد فى الماضى القريب .

و سيشترك فى رواية هذه القصة الجميلة الرائعة و نقلها إلى الأجيال القادمة ، رواة صادقون من الأحياء ، و شهود عادلون من الأعضاء .

فالعين عن قرة ، والكف عن صلة

والقلب عن جابر ، والسمع عن حسن

www.abulhasanalinadwi.org